

كتاب التوحيد (3)

الدرس الرابع



باب: ما جاء في كثرة الحلف



هو اليمين بالله عز وجل وهو ذكر مُعْظَمٍ لتأكيد محلوفٍ عليه ولا يكون الحلف إلا بالله عز وجل لأنه هو المستحق للتعظيم وحده لا شريك له

كما في الحديث: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» فقله: «كفر أو أشرك» شك من الراوي هل قال رسول الله ﷺ: «كفر» أو «أشرك» وكلاهما محذور عظيم مما يدل على تعظيم الحلف بغير الله عز وجل وأنه شرك أو كفر

بغير الله شرك

الحلف

إن كان صادقاً فيمينه بارة

بالله

لأنه مستهين بعظمة الله سبحانه وتعالى

إن كان كاذباً فيمينه آثمة

على المسلم ألا يُكثر من الحلف بالله إلا إذا كان لذلك موجب وسبب

يقول الله جل وعلا: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بَنِيمٍ﴾ [القلم: 10، 11]

التساهل بالحلف وكثرة الحلف

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ قيل معناه: لا تحلفوا إلا إذا اقتضى الأمر ذلك، وقيل معناه: لا تُكثروا من الحلف بالله عز وجل بل احفظوها إلا عند الحاجة وأن تكونوا بارين لا كاذبين

ما يجري على اللسان من غير قصد كقوله: "لا والله" و"بلى والله" وهو لا يقصد عقد اليمين

لغو اليمين

﴿لَا يُوَاحِدُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: 225]

لغو اليمين واليمين الغموس

هي اليمين الغموس التي قصد عقدها على أمر مستقبل ممكن فتغمس صاحبها في الإثم ثم في النار إذا كذب فيها

اليمين المنعقدة

أن تعظيم الحلف بالله من كمال التوحيد والاستهانة بالحلف بالله من نقص التوحيد

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «الحلف مُنْفَقَةٌ للسلعة»

يعني مروجة للسلعة الناس يصدقونه وهو في نفس الأمر كاذب فهذا يأثم

هذا حديثٌ يؤكد تعظيم الحلف بالله عزَّ وجلَّ وعدم الاستهانة بها

«لا يكلمهم الله» تكليم رضا

«ولا يزكيهم» لا يطهرهم

«ولهم عذابٌ أليمٌ» عذابٌ مؤلمٌ شديدٌ

ثلاثة أنواعٍ من الوعيد على
من استهان بالحلف بالله

وعن سلمان أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثةٌ لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولهم عذابٌ أليمٌ: أشيماً زانٌ، وعائلاً مستكبرٌ، ورجلٌ جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه» رواه الطبراني بإسنادٍ صحيحٍ

الأشيمط هو الذي بدأ فيه الشيب شبطه الشيب، مع كونه بهذه الحالة يزني؛ لأن الغالب على الزاني أن يكون في ريعان الشباب والقوة وأما الأشيمط فهذا ليس فيه داعٍ للشهوة شهوته ضعيفةٌ فإذا زنا فإنه يحب الزنا مما يدل على جرأته على الحرام

«أشيمطٌ زانٌ»

العائل: هو الفقير، من العيلة وهي الفقر، والغالب على العائل الفقير أنه يتواضع فإذا كان يستكبر مع حالته التي لا تستدعي الاستكبار هذا دليلٌ على أنه يحب الكبر

«وعائلاً مستكبرٌ»

رجلٌ متاجرٌ يبيع ويشترى ويحلف على بيعه وعلى شرائه ليغتر الناس بذلك فيصدقوه على أنه اشترى السلعة بكذا أو أنها سيمت منه بكذا وهو كاذبٌ لأجل أن يروجها على الناس

«ورجلٌ جعل الله بضاعته»

القرن إذا أُطلق فهو الجيل من الناس والقرن من الزمان مائة سنةٍ أو قريباً من ذلك، فخير هذه الأمة القرن الذين بُعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الصحابة

«خير أمتي قرني»

وهم التابعون القرن الثاني بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

القرون المفضلة: الصحابة والتابعون وأتباع التابعين

«ثم الذين يلونهم»

لا تُطلب منهم الشهادة فهذا دليلٌ على استهانتهم بها، الذي عنده شهادةٌ لا يؤديها حتى تُطلب منه إلا إذا خاف أن يضيع الحق ولم تُطلب منه الشهادة فإنه يتقدم ويشهد

«يشهدون ولا يُستشهدون»

يخونون الناس في بيعهم وشرائهم وفي كلامهم وفي أماناتهم، ولا يأتينهم الناس

«ويخونون ولا يؤتمنون»

ثم يأتي بعد هذه القرون المفضلة من تظهر عليهم أو تحصل منهم الجرائم والاستهانة بأمور الدين لضعف إيمانهم وقلة توحيدهم هؤلاء من شر القرون ومن علامتهم أنهم يظهر فيه السمن لأنهم يُكرمون أنفسهم بالأكل والشرب والطعام ولا يخافون من المستقبل، ولا يخافون من الموت وما بعده كأنهم آمنون في هذه الدنيا ومطمئنون فيها

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» قال عمران: فلا أدري أذكر مرتين أو ثلاثاً، «ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن»